

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة والسلام على إمام المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإن الله عز وجل قد خص أربع كلمات بفضائل عظيمة، وميزات جلييلة، تدل على عظم شأنهن، ورفع قدرهن، وعلو مكانتهن، وتميزهن على ما سواهن من الكلام، وهن: **سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**

ورد في فضلهن نصوص كثيرة تدل دلالة قوية على عظم شأن هؤلاء الكلمات، وما يترتب على القيام بهن من أجور عظيمة وأفضال كريمة، وخيرات متواليّة في الدنيا والآخرة، وقد رأيت أن من المفيد جمع جملة منها في مكان واحد، وهي في الأصل جزء من كتابي - **فقه الأدعية والأذكار** - رغب بعض أفاضل الإخوة الكرام أن تُفرد في رسالة مستقلة ليُعم نفعها، وتكثر فائدتها، بإذن الله تعالى. فإليك - أخي المسلم - هذه الفضائل فتأملها بأناة عسى أن يكون فيها تحفيز لهم، وتشيط للعزائم، وعون على المحافظة على هؤلاء الكلمات، والله وحده الموفق والمعين على كل خير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أولاً: فمن فضائل هؤلاء الكلمات: أنّهن أحب الكلام إلى الله، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحب الكلام إلى الله - تعالى - أربع، لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»^(١)، ورواه الطيالسي في مسنده بلفظ: «أربع هن من أطيب الكلام، وهن من القرآن، لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»^(٢).

ثانياً: ومن فضائلهن: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنّهن أحب إليه ممّا طلعت عليه الشمس (أي: من الدنيا وما فيها)، لما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي ممّا طلعت عليه الشمس»^(٣).

ثالثاً: ومن فضائلهن: ما ثبت في مسند الإمام أحمد، وشعب الإيمان للبيهقي بإسناد جيّد عن عاصم بن بهدلة، عن أبي صالح، عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: مرّ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إنني قد كبرت وضعت - أو كما قالت - فمُرني بعمل أعمله وأنا جالسة. قال: «سبحي الله مائة تسبيحة، فإنها تعدل لك مائة رقية تعتقنيها من ولد إسماعيل، واحمدي الله مائة تحميدة، تعدل لك مائة فرس مُسرّجة ملجمة تحملين عليها في سبيل الله، وكبري الله مائة تكبيرية فإنها تعدل لك مائة بدنة مُقلّدة متقبّلة، وهلكي مائة تهليلة - قال ابن خلف (الراوي عن عاصم) أحسبه قال - تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يرفع يومئذ لأحدٍ عملٌ إلا أن يأتي بمثل ما أتيت به»^(٤). قال المنذري: رواه

١ صحیح مسلم (رقم: ٢١٣٧).
٢ مسند الطيالسي (ص: ١٢٢).
٣ صحیح مسلم (رقم: ٢٦٩٥).
٤ المسند (٣٤٤/٦)، شعب الإيمان (رقم: ٦١٢).

أحمد بإسناد حسن^(٥). وحسن إسناده العلامة الألباني رحمته الله^(٦). وتأمل هذا الثواب العظيم المترتب على هؤلاء الكلمات، فمن سبح الله مائة، أي قال: سبحان الله مائة مرة فإنها تعدل عتق مائة رقية من ولد إسماعيل، وخصّ بني إسماعيل بالذكر لأنهم أشرف العرب نسباً، ومن حمّد الله مائة، أي من قال: الحمد لله مائة مرة كان له من الثواب مثل ثواب من تصدّق بمائة فرس مسرّجة ملجمة، أي: عليها سرجها ولجامها لحمل المجاهدين في سبيل الله، ومن كبر الله مائة مرة، أي قال: الله أكبر مائة مرة كان له من الثواب مثل ثواب إنفاق مائة بدنة مُقلّدة متقبّلة، ومن هلّل مائة، أي قال: لا إله إلا الله مائة مرة فإنها تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يُرفع لأحدٍ عملٌ إلا أن يأتي بمثل ما أتى به.

رابعاً: ومن فضائل هؤلاء الكلمات: أنّهن مكفّرات للذنوب، فقد ثبت في المسند، وسنن الترمذي، ومستدرک الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما على الأرض رجل يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا كفّرت عنه ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر»، حسنه الترمذي، وصححه الحاكم وأقرّه الذهبي، وحسنه الألباني^(٧).

والمراد بالذنوب المكفّرة هنا أي: الصغائر، لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفّرات ما بينهنّ إذا اجتنب الكبائر»^(٨)، فقيّد التكفير باجتناّب الكبائر؛ لأنّ الكبيرة لا يُكفّرُها إلا التوبة.

وفي هذا المعنى ما رواه الترمذي وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بشجرة يابسة الورق فضرها بعضاه فتناثر الورق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر لتساقط من ذنوب العبد كما تساقط ورق هذه الشجرة»، وحسنه الألباني^(٩).

خامساً: ومن فضائل هؤلاء الكلمات: أنّهن غرس الجنة، روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «لقت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أفرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أنّ الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»^(١٠)، وفي إسناده هذا الحديث عبد الرحمن بن إسحاق، لكن للحديث شاهدان يتقوى بهما من حديث أبي أيوب الأنصاري، ومن حديث عبد الله بن عمر.

والقيعان جمع قاع، وهو المكان المستوي الواسع في وطأة من الأرض يعلوه

٥ الترغيب والترهيب (٤٠٩/٢).
٦ السلسلة الصحيحة (٣٠٣/٣).
٧ المسند (١٥٨، ٢١٠/٢)، وسنن الترمذي (رقم: ٣٤٦٠)، ومستدرک الحاكم (٥٠٣/١)، وصحيح الجامع (رقم: ٥٦٣٦).
٨ صحیح مسلم (رقم: ٢٣٣).
٩ سنن الترمذي (رقم: ٣٥٣٣)، وصحيح الجامع (رقم: ١٦٠١).
١٠ سنن الترمذي (رقم: ٣٤٦٢)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم: ١٠٥).

ماء السماء، فيمسكه ويستوي نباته، كذا في النهاية لابن الأثير^(١١)، والمقصود أنّ الجنة ينمو غراسها سريعاً بهذه الكلمات كما ينمو غراس القيعان من الأرض ونباتها.

سادساً: ومن فضائلهن: أنّهن ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام بكثير تكبيره وتسيبته وتهليله وتحميده: روى الإمام أحمد، والنسائي في عمل اليوم والليلة بإسناد حسن عن عبد الله بن شداد: أنّ نقرأ من بني عذرة ثلاثة أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من يكفينهم» قال طلحة رضي الله عنه: أنا، قال: فكانوا عند طلحة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثاً فخرج فيه أحدهم فاستشهد، قال: ثم بعث بعثاً آخر، فخرج فيهم آخر فاستشهد، قال: ثم مات الثالث على فراشه، قال طلحة: فرأيت هؤلاء الثلاثة الذين كانوا عندي في الجنة، فرأيت الميت على فراشه أمامهم، ورأيت الذي استشهد أخيراً يليه، ورأيت الذي استشهد أولهم آخرهم، قال: فدخلني من ذلك، قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أكرت من ذلك، ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يُعمر في الإسلام بكثير تكبيره وتسيبته وتهليله وتحميده»^(١٢).

وقد دلّ هذا الحديث العظيم على عظم فضل من طال عمره وحسن عمله، ولم يزل لسأله رطباً بذكر الله عز وجل.

سابعاً: ومن فضائلهن: أنّ الله اختار هؤلاء الكلمات واصطفاهنّ لعباده، ورتب على ذكر الله بهنّ أجوراً عظيمة، وثواباً جزيلاً، ففي المسند للإمام أحمد ومستدرک الحاكم بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة وأبي سعيد - رضي الله عنهما - أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ الله اصطفى من الكلام أربعاً: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فمن قال: سبحان الله كتّبت له عشرون حسنة، وحطت عنه عشرون سيئة، ومن قال: الله أكبر فمثل ذلك، ومن قال: لا إله إلا الله فمثل ذلك، ومن قال: الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتّبت له ثلاثون حسنة، وحطت عنه ثلاثون خطيئة»^(١٣).

وقد زاد في ثواب الحمد عندما يقوله العبد من قبل نفسه عن الأربع؛ لأنّ الحمد لا يقع غالباً إلا بعد سبب كأكل أو شرب، أو حدوث نعمة، فكأنه وقع في مقابلة ما أسدى إليه وقت الحمد، فإذا أنشأ العبد الحمد من قبل نفسه دون أن يدفعه لذلك تتجدد نعمة زاد ثوابه.

ثامناً: ومن فضائلهن: أنّهن جنة لقائلهنّ من النار، وبأيتين يوم القيامة مُنجيات لقائلهنّ ومقدّمات له، روى الحاكم في المستدرک، والنسائي في عمل اليوم والليلة، وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خذوا جنتكم»، قلنا: يا رسول الله من عدو قد حضر! قال: «لا، بل جنتكم من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهنّ يأتين يوم

١١ (٤/١٣٢).

١٢ المسند (١١٣/١)، وسنن الكبرى للنسائي كتاب: عمل اليوم والليلة (٦/١٠٦٧٤)، وحسنه العلامة الألباني في الصحيحة (رقم: ٦٥٤).

١٣ المسند (٣٠٢/٢)، والمستدرک (٥١٢/١)، وقال العلامة الألباني في صحيح الجامع (رقم: ١٧١٨): صحيح.

القيامة منجيات ومقدّمات، وهنّ الباقيات الصالحات». قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وصحّحه العلامة الألباني يرحمه الله^(١٤).

وقد تضمّن هذا الحديث إضافة إلى ما تقدّم وصف هؤلاء الكلمات بأنهنّ الباقيات الصالحات، وقد قال الله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ تَصَلَّحْتُمْ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ قَوْلًا وَّخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦] والباقيات أي: التي يبقى ثوابها، ويدوم جزاؤها، وهذا خير أمل يؤمّله العبد وأفضل ثواب.

تاسعاً: ومن فضائلهنّ: أنّهنّ يتعطفنّ حول عرش الرحمن ولهنّ دويّ كدويّ النحل، يذكرن بصاحبهنّ، ففي المسند للإمام أحمد، وسنن ابن ماجه، ومستدرک الحاكم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِمَّا تَذَكَّرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّحْمِيدَ، يَتَعَطَّفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لِهِنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، تَذَكَّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يَحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ، أَوْ لَا يَزَالُ لَهُ مِنْ يَذْكُرُ بِهِ». قال البوصيري في زوائد سنن ابن ماجه: إسناده صحيح، رجاله ثقات، وصحّحه الحاكم^(١٥).

فأفاد هذا الحديث هذه الفضيلة العظيمة، وهي أنّ هؤلاء الكلمات الأربع يتعطفنّ حول العرش أي: يملن حوله، ولهنّ دويّ كدويّ النحل؛ أي: صوت يشبه صوت النحل يذكرن بقائلتهنّ، وفي هذا أعظم حض على الذّكر بهذه الألفاظ، ولهذا قال في الحديث: «ألا يحب أحدكم أن يكون له أو لا يزال له من يذكر به».

عاشرًا: ومن فضائلهنّ: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنّهنّ ثقيات في الميزان، روى النسائي في عمل اليوم والليلة، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وغيرهم عن أبي سلمى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يَخْبُجُ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ بِخَمْسٍ - مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِي حَتْسَبِهِ»، صحّحه الحاكم، ووافقه الذهبي^(١٦)، وللحديث شاهد من حديث ثوبان رضي الله عنه، خرّجه البزار في مسنده، وقال: إسناده حسن^(١٧)، وقوله في الحديث: «يَخْبُجُ» هي كلمة تُقال عند الإعجاب بالشيء وبيان تفضيله.

حادي عشرًا: ومن فضائل هؤلاء الكلمات: أنّ للعبد بقول كلّ واحدة منهنّ صدقة، روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه: «أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالُوا لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ، يَصْلُونَ كَمَا نَصَلِي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ». قَالَ: «أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ

١٤ المستدرک (١/٥٤١)، السنن الكبرى كتاب: عمل اليوم والليلة (٦/٢١٢)، صحيح الجامع (رقم: ٣٢١٤).
١٥ المسند (٤/٢٦٨، ٢٧١)، سنن ابن ماجه (رقم: ٣٨٠٩)، المستدرک (١/٥٠٣).
١٦ السنن الكبرى كتاب: عمل اليوم والليلة (٦/٥٠)، صحيح ابن حبان (الإحسان) (٣/١١٤/٣) رقم: ٣٣٨، المستدرک (١/٥١٢، ٥١١).
١٧ كشف الاستار عن زوائد البزار (٤/٩/٣٠٧٢).

صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة». قالوا: «يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟» قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»^(١٨).

وقد ظنّ الفقهاء أن لا صدقة إلا بالمال، وهم عاجزون عن ذلك، فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أنّ جميع أنواع فعل المعروف والإحسان صدقة، وذكر في مقدّمة ذلك هؤلاء الكلمات الأربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

ثاني عشرًا: ومن فضائل هؤلاء الكلمات: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم جعلهنّ عن القرآن الكريم في حقّ من لا يُحسّنه، روى أبو داود، والنسائي، والدارقطني، وغيرهم عن ابن أبي أوفى - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله إنّي لا أستطيع أن أتعلّم القرآن، فعلمني شيئاً يُحزني». قال: «تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله». فقال الأعرابي: هكذا - وقبض يديه - فقال: «هذا لله، فما لي؟» قال: «تقول: اللهم اغفر لي وارزقني وعافني وارزقني وأهني»، فأخذها الأعرابي وقبض كفيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما هذا فقد ملأ يديه بالخير»^(١٩).

قال المحدث أبو الطيّب العظيم آبادي في تعليقه على سنن الدارقطني: سنده صحيح. وقال الألباني يرحمه الله: سنده حسن^(٢٠). فهذه بعض الفضائل الواردة في السنة النبوية لهؤلاء الكلمات الأربع، وقد ورد لكل كلمة منهن فضائل مخصوصة، ومن يتأمل هذه الفضائل المتقدّمة يجد أنّها عظيمة جدًّا، ودالّة على عظم قدر هؤلاء الكلمات، ورفعة شأنهنّ وكثرة فوائدهنّ وعوائدهنّ على العبد المؤمن، ولعل السر في هذا الفضل العظيم - والله أعلم - ما ذكر عن بعض أهل العلم أنّ أسماء الله - تبارك وتعالى - كلّها مندرجة في هذه الكلمات الأربع، فسبحان الله يندرج تحته أسماء التنزيه كالقدّوس والسلام، والحمد لله مشتتلة على إثبات أنواع الكمال لله - تبارك في أسمائه وصفاته -، والله أكبر فيها تكبير الله وتعظيمه، وأنّه لا يُحصي أحد الثناء عليه، ومن كان كذلك ف(لا إله إلا هو) أي: لا معبود حق سواه^(٢١).

فالتسبيح: تنزيه الله عن كل ما لا يليق به. والتحميد: إثبات لأنواع الكمال لله في أسمائه وصفاته وأفعاله. والتهليل: إخلاص وتوحيد لله وبراءة من الشرك. والتكبير: إثبات لعظمة الله وأنه لا شيء أكبر منه. فله ما أعظم هؤلاء الكلمات، وما أجل شأنهنّ، وما أكبر الخير المترتب عليهنّ، فنسأل الله أن يوفّقنا للمحافظة والمداومة عليهنّ، وأن يجعلنا من أهلهنّ الذين ألسنتهم رطبةً بذلك، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه. وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

١٨ صحيح مسلم (رقم: ١٠٠٦).
١٩ سنن أبي داود (رقم: ٨٣٢)، سنن النسائي (٢/١٤٣)، سنن الدارقطني (١/٣١٤، ٣١٣).
٢٠ صحيح أبي داود (١/١٥٧).
٢١ انظر: جزء في تفسير الباقيات الصالحات للعلاني (ص: ٤٠).



فضائل الكلمات الأربع

سبحان الله

الحمد لله

لا إله إلا الله

الله أكبر

إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن العبد

دار الحديث